

شاءت إرادة الله عز وجل ان يكون الناس مختلفين . ولذلك اختلفت مواقفهم ازاء الخير والشر والنفع والضر . لهذا كان الناس فى حاجة ماسة الى إرسال الرسـل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ليبينوا للناس الخير من الشر. ويوضحـوا لهم الطريق المستقيم الذي لا عوجاج فيه وليغرسوا فيهم المحبة والإخـاء . ولا ريب فهم دعاة هداية واصلاح وهم فى الأولى والآخرة رسل الرحمة وسـفراء الله تعالى الى عباده . حقا ان الإسلام هو الدعوة العالمية التى جاء بها الرسـول ﷺ ليبلغها للناس جميعا والناس بحاجة الى رسول ينقذهم من شقوة العذاب ويدلـهم على فعل الخيرات وما ينفعهم فى الدنيا والاخرة . والناس تجاه ذلك منـهم مـن يعرض فهو ميت القلب يعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض . ومنهم من يعيـش بالنور الذي أنزله الله على الرسول ﷺ الذى أرسله الله حياة للقلوب والأبـدان على السواء . " ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشـاء مـن عبادنـا " سـورة الشورى ٥٢ .

حاجة البشر إلى الرسل

من المعروف ان العقل البشرى قاصر على إدراك ذاته وكنه الروح التى هى مـن أمر ربى وحده لا شريك له .... والإنسان صنعة الله عز وجل وهذه الصنعـة لا يصلحها الا صانعها عز وجل والله عز وجل اختار رجالا هم صفوة البشر علـى الاطلاق ليبلغوا للناس ما يريده الله عز وجل من هذا الانسان كـى يكـون بشـرا سويا سعيدا فى الدنيا والاخرة . ومن هنا نعلم " اضطرار العباد فوق كل ضـرورة الى معرفة الرسول وما جاء به ، وتصديقه فيما اخبر به وطاعته فيما امر بـه ، فانه لا سبيل الى السعادة والفلاح لا فى الدنيا ولا فى الاخر الا على ايدى الرسـل ولا سبيل الى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل الا من جهتهم ولا ينال رضـا الله إليه الا على ايديهم فالطيب من الأعمال والأقوال والأخـلاق ليس إلا هديـهم

وما جاءوا به فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من الضلال ، فالضرورة اليهم اعظم من ضرورة البدن الى روحه والعين إلى نورها والروح الى حياتها فأى ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير"(١) .

ومن رحمة الله تعالى بعباده ان أرسل لهم الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ...... كى يبينوا للناس المنهج الذي يحقق لهم السعادة فى الدارين الأولى والآخرة ...... وذلك باخبار من الله عز وجل لا من عند أنفسهم " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما "(٢)

ومن كفر بنبى من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء لان الإيمان واجب بكل نبى بعثه الله الى اهل الارض ومن رد نبوه نبى لسببٍ من الأسباب فقد رد إيمانه وكان كافرا (٣) . وصدق الله اذ يقول : " ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا " (٤) أول داع الى الله : وكان فى طليعة هؤلاء الأنبياء سيدنا نوح عليه السلام . قال الامام السيوطى : فى القرآن الكريم من أسماء الأنبياء والمرسلين خمس وعشرون هم مشاهيرهم آدم ابو البشر .... نوح عليه السلام(٥)

لقد اخبر الرسول ﷺ ان نوحا أول رسول بعث الى أهل الأرض . جاء ذلك فى حديث الشفاعة المعروف بطوله . ولكننا ناتى بالشاهد منه .

---

(١) زاد المعاد فى هدى العباد لابن قيم الجوزية جـ١ ص ١٥

(٢) سورة النساء الاية ١٦٥ .

(٣) تفسير بن كثير جـ ١ ص ٥٧٢

(٤) سورة النساء ١٥٠-١٥١ .

(٥) الاتقان فى علوم القران للسيوطى جـ ٢ ص ٤٢٨ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال .....» ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله .... وفى رواية .... فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الأرض ، وسماك الله عبدا شكورا » (١)

من خصائص نوح عليه السلام

لقد زود الله تعالى رسوله نوحا بفضائل كانت عدته فى إخراج الناس من الظلومات إلى النور .... فى بواكير الإنسانية الأولى ومن أبرز هذه الفضائل

(١) العبودية .

(٢) الشكر .

ولهاتين الفضيلتين اثرهما البالغ . فى اعداد الداعية ليؤدى دوره بنجاح . فالعبودية تعنى قوة الصلة بالله تعالى ، والشكر يعنى الاعتراف بنعمة هذه العبودية . وصدق الله اذ يقول : " ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكوراً " (٢) كان نوح ممن يكثرون شكر الله تبارك وتعالى على نعمائه ويتذكر دائما فضل ربه عليه . فيشكر والشكر هو صرف النعم فيما خلقت له وفيما يرضى الله تبارك وتعالى ويكون باللسان وبالقلب وبالأعضاء يقول الشاعر .

" أفادتكم النعماء منى ثلاثة .... يدى ولسانى والضمير المحجبا " (٣)

ويلاحظ على هذا البيت :

ان الإنسان أسيرا لاحسان وأنبياء الله تعالى هم أولى الناس فى الإحسان بالنعم والتأثر بها وشكر اله عليها لذلك قال الله لنوح عليه السلام " انه كان عبدا شكورا " . وشكور من صيغ المبالغة التى تفيد الكثير . فهذا الشاعر يقول لممدوحه الذى اغدق عليه من المنح والعطايا انك بهذه المنح قد ملكت قلبى ولسانى وجسمى والتعبير باليد هنا يراد به الجسم كله كانه يقول انك قد ملكتنى بهذا الاحسان .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ٧ ص ١٨٢ .

(٢) سورة الاسراء ٣

(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ ١ ص ١١٨ .

نوح عليه السلام فى سور القران الكريم

ذكرت قصة نوح عليه السلام فى القران الكريم فى مواضع كثيرة وذكرت * قصته مفصله فى سورة الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء والقمر ونـــوح "[1] لكـن قصته فى السورة المسماة باسمه تاخذ طابعا خاصا .

(١) من حيث نزولها فى فترة متاخرة قبل الهجرة[2] وما يعنيه ذلـك مـن بلـوغ الصراع بين الحق والباطل ذروته ، الامر الذى كان لابد من علو نبرة التهديد والتحذير ودخول الدعوة مرحلة لا ينسجم معها الا هذا اللون من خطاب .

(٢) صعوبة المهمة : كانت البشرية فى طفولتها الباكرة بمعنى انها كـانت مـن الجهل فى المكان البعيد . مما يحملنا على التسليم بحكمة القـران الكريـم . الذى وافانا بهذه السورة المباركة لتؤدى دروها فى الدعوة الــى الله تعـالى إزاء ناس من نفس النوع غارقين فى الجاهلية متسـلحين بالحميـة حميـة الجاهلية الأولى .

- لبث نوح عليه السلام فى قومه الف سنة الا خمسين عاما . يدعوهم الى توحيد الله عز وجل . فتجئ سورة نوح " فتجمع كل المواقف وتلخص مراحل الجهاد فى سبيل الدعوة على مدى آيات سريعة تتملاها الإنسانية فى كل العصور من بدايتها الى نهايتها فتحس فى أعماقها بان الباطل هو الباطل وان الإنسان هو الإنسان على امتداد الحياة كلها . وكانها تحدد نزعة الطغيان من قوم نوح لتصل فى النهاية الى إخلاف لهم ما زالوا يقومون بنفس الدور يواجهون به دعاة الحق . الذين يقفون من سورة نوح موقف الفاهم الواعي الذي يرى فيها نهاية الباطل وان طال مداه . ويلتقى بالنهاية المجيدة يخص الله بها عبادة المؤمنـين بعد طول جهاد فيستحثون الخطى ويواصلون المسيرة الى اكرم مصير [3] .

قصت السورة ذلك باسلوب بياني خالد معجز .

---

(١) قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣١ احياء التراث العربى

(٢) انظر الاتقان فى علوم القران للسيوطى الامام

(٣) انظر نوح عليه السلام اول داع الى الله لأستاذنا الفاضل الدكتور / محمود محمد عمارة ص ١٩٥ دار السلام العالمية .

عارضه دعوة نوح عليه السلام عرضا عمليا محسوسا مشاهدا مقصوصا .

أهمية السورة

وقع اختياري على قصة سيدنا نوح عليه السلام من خلال السورة التى تسمى باسمه وذلك لأمور منها قول الرسول ﷺ :

١- " من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح " [(١)].

٢- من حيث هى قصه . وللقصة اثرها فى تكوين وجدان المدعوين " .

٣- من حيث اشباعهم لغريزة حب الاستطلاع .

٤- ثم انها اول قصة للبدايات ايحاءاتها الملفته .

٥- ثم انها قصة نبى من اولى العزم من الرسل . الذين تعرضوا للاذى فصبروا وصابروا ، وامر الله سيدنا محمد ﷺ ان يصبر كما صبر نوح عليه السلام " فاصبر كما صبر اولى العزم من الرسل " [(٢)].

١- من حيث موضوعها فهى تدور حول المعركة القديمة الجديدة بين الحق والباطل . وكيف كان النصر فى النهاية للحق .

٢- واذا فالقضية بهذا المعنى رائد على طريق الدعوة يضئ للسالكين طريق الهدى بقدر ما يحميهم من الردى .

صلة السورة بما قبلها

يقول العلامة الالوسى رحمة الله تعالى :
ووجه اتصال سورة نوح بما قبلها على ما قال الجلال السيوطى وأشار إليه غيره انه سبحانه وتعالى لما قال فى سورة المعارج " انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم " عقبة تعالى بقصة قوم نوح عليه السلام المشتملة على اغراقهم عن أخرهم بحيث لم يبق منهم فى الأرض ديارا وبدل خيرا منهم فوقعت موقع الاستدلال والاستظهار لتلك الدعوى كما وقعت قصة أصحاب الجنة فى سورة " ن " من موقع الاستظهار لما ختم به تبارك هذا مع تواخى مطلع السورتين فى ذكر العذاب الموعود به الكافرون . ووجه الاتصال على قول من زعم ان السائل هو

---

(١) الكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ٢٧٤ مطبعة البارى الجلى سنة ١٩٤٨ م .

(٢) سورة الاحقاف ٣٥

نوح عليه السلام ظاهر وفى بعض الآثار ما يدل على ان النبي ﷺ يقراها على قوم نوح يوم القيامة .

* اخرج الحاكم عن ابن عباس مرفوعا قال تعالى إن الله تعالى يدعو نوحا وقومه يوم القيامة أول الناس فيقول ماذا أجبتم نوحا فيقولون ما دعانا وما بلغنا ولا نصحنا ولا امرنا ولا نهانا فيقول نوح دعوتهم يارب دعاء فاشيا فى الأولين والآخرين امه بعد امه حتى انتهى الى خاتم النبيين احمد ﷺ فانتسخه وقراه وآمن به وصدقه فيقول الله عز وجل للملائكة عليهم السلام ادعوا احمد وامته فيدعونهم فياتى رسول الله ﷺ وأمته يسعى نورهم بين أيديهم فيقول نوح لمحمد ﷺ وأمته هل تعلمون انى بلغت قومي الرسالة واجتهدت لهم بالنصيحة وجهدت ان استنقذهم من النار سرا وجارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا فيقول رسول الله ﷺ وأمته فأننا شهدنا بما أنشدتنا انك في جميع ما قلت من الصادقين فيقول قوم نوح وإني علمت هذا أنت وأمتك ونحن أول الأمم وأنت أخر الأمم فيقول رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم " أنا أرسلنا نوحا إلى قومه ان انذر قومك من قبل إن يأتيهم عذاب اليم .... الخ أخر السورة الكريمة .

حتى يختم السورة فان ختمها قالت أمته نشهد " ان هذا لهو القصص الحق وما من اله إلا الله وان الله لهو العزيز الحكيم ". فيقول الله عند ذلك " امتازوا اليوم أيها المجرمون "(١) . وهنا تظهر منزلة الرسول ﷺ العالية وأمته كذلك حيث تشهد على الأمم السابقة لتكونوا شهداء على الناس " فليسال كل منا نفسه هل هو أهل لهذه الشهادة أم لا ؟ ؟ .

براعة الاستهلال

قال الله تعالى : إنا أرسلنا نوحا إلى قومه ان أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم " (٢). هاهي الآية الأولى تعلن علينا وعلى البشرية كلها ان الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله نوحا إلي قومه رحمة بعباده " آمرا له ان ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فان تابوا أنابوا رفع عنهم " (٣) ما هي النذارة المشار إليها في

(١) روح المعاني للالوسي جـ ٦٧ ص ٢٩ ، ٣٠ دار احياء التراث العربي بيروت .

(٢) سورة نوح ١

(٣) تفسير بن كثير جـ ٤ ص ٤٥٠

الآية الكريمة ؟ ليست انذاره العصا ولا الرصاص ولا الشتم ولا السب . وانما النذارة التى لا تتجاهل طبيعة الإنسان وعقل الإنسان وذلك ما تلخصه الاية الكريمة " قال يا قوم انى لكم نذير مبين (١)ان اعبدوا الله (٢) واتقوه (٣) واطيعون " وهذه الثلاثة هى خلاصة الدعوة الى الله تعالى التى دعا اليها جميع المرسلين وهى تؤكد الوحدة الدينية بينهم ، وها هو الميثاق الذي أخذه الله عز وجل على الأنبياء جميعا " وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم أصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين[(١)]

١- فجميع الرسل دعوا إلى التوحيد .

٢- والى عبودية الواحد الديان .

وهكذا يتلو علينا القران الكريم نبأ المرسلين لتأكيد هذه الوحدة الدينية ... فهم جميعا مسلمون جاءوا دعاه للإسلام .

نوح يدعو للإسلام

- قال تعالى :- " واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غنمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ."[(٢)]

- موسى مسلم :

- قال تعالى " وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ".[(٣)] وعيسى مسلم يقول تعالى :-

- " فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون "[(٤)]

---

(١) سورة آل عمران ٨١

(٢) سورة يونس ٧١ ، ٧٢

(٣) سورة الأعراف ١٢٦

(٤) سورة آل عمران ٥٢

- " قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون "(١).

- مظاهر الحكمة فى الدعوى الى الله تعالى "(٢)

- فى بداية أي تغيير اجتماعي ربما لا يجدى البرهان وإن كان مقنعا ولكن المجال للوجدان الذي يبحث عن الداعية الحكيم القادر على هز ذلك الوجدان على نحو . ينفض عنه ركام الجهل والعناد ليصبح مرآة ثقيلة تستقبل واردات الهدى .

- وفى موقف سيدنا نوح عليه السلام الداعية ما يجلى هذه الحقائق على النحو التالي :-

إثارة رابطة الأخوة

- ومن قبل أن يثير فيهم عاطفة الاخوة كان هناك توجية إلهي باستخدام هذه الوسيلة وذلك قوله تعالى فى مستهل السورة الكريمة .

- " إنا أرسلنا نوحا الى قومة أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب اليم "

- مغذى هذا التوجيه الإلهي : يلاحظ لهذا التوجيه الإلهي لسيدنا نوح عليه السلام بروز معنى التخويف " انذر ثم من قبل إن يأتيهم عذاب اليم." فى مقدمة سورة البقرة كلام عن الكافرين انهم سواء في حقهم الإنذار وعدمه وتأتى سورة نوح لترينا أن رسول الله ﷺ نوح دعا إلى ما دعا إليه رسولنا ﷺ من التقوى وترينا قصة أمة بذل معها رسولها كل جهد ممكن وأقام عليها كل حجة ومع ذلك أصرت على الإنكار ورفض الإنذار فسورة نوح إذن تقدم نموذجا على نوع من الكفار يتساوى الإنذار وعدمه فى حقهم ولذلك صلته بقوله تعالى " إن الذين كفروا سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون " وهكذا فسورة نوح تفصل في محورها من مقدمة سورة البقرة وتؤدى دورها فى مجموعتها وكل ذلك ضمن سياقها الخاص(٣)

---

(١) سورة البقرة ١٣٦

(٢) الفكرة هنا لأستاذنا فضيلة الدكتور محمود عمارة " عضو مجمع البحوث الاسلامية

(٣) الأساس فى التفسير – سعيد حوى جـ ١١ ، ١٢ ص ٦١٥٢ ط ١ ص ١٩٨٥ دار السلام

– التزام نوح عليه السلام بأوامر ربه عز وجل

– ويتضح ذلك من قوله تعالى :–

– " قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون[١]

– ناداهم بالقومية والنداء بالقومية ينبه عاطفة الإخاء القريب أو يثير مشاعر الود – ويجذب إلى الوحدة والتضامن ويطمئن إلى الإخلاص وتوثيق الروابط والناس بحاجة الى كل هذا التجمع فى حياتهم الخاصة والعامة إذا قدروا معنى الحياة ولم يفتهم أنها فى أول مراتب الاعتبار بالنسبة للإنسان[٢]

– مع ملاحظة أن سيدنا نوح عليه السلام يتحبب إلى من يعادية وهو أسلوب له أثر مع الخصم .

–فالإنسان عبد الإحسان ونحن مأمورين بأن لا نتنابز بالألقاب بل ينادى بعضنا بعضا بأحب الأسماء إليه وعند مخاطبة الأعداء أيضا تقول الأحسن من الكلام وصدق الله إذ يقول :–

–" وهدوا إلى الطيب من القول " [٣] وقولوا للناس حسنا "[٤]

– ويقول الرسول ﷺ " الكلمة الطيبة صدقة "[٥]

– أنها أرقى الأساليب فى فن الدعوة إلي الله تعالي وسياستها مع الآخرين حتى في الهجر والخصام فقد وصف الله عز وجل الصفح بأنه جميل فقال عز شأنه " فاصفح الصفح الجميل "[٦] ووصف الصبر بالجمال فقال " فصبر جميل[٧] وهو الذى لا يصحبه ضجر ولا شكوى ووصف كذلك الهجر بالجمال فقال عز من قائل :– " وأهجرهم هجرا جميلا "[٨] هذه دعوتنا إلى الحسن والأحسن والصفح الجميل والرفق واليسر والجمال فى كل الأمور .

---

(١) سورة نوح ٢

(٢) من نفحات القران الكريم الشيخ عبد اللطيف السبكى ج ٢ ص ١٨٥

(٣) سورة الحج ٢٤

(٤) سورة البقرة ٨٣

(٥) اخرجة البخاري ك الأدب باب ٣٤ ج ٢ ص ٤٤٨ فتح البارى

(٦) سورة الحجر ٨٥

(٧) سورة يوسف ١٨

(٨) سورة المزمل ١٠

- " أنى لكم نذير مبين " هذه مهمة كل رسول بعثة الله عز وجل إلى قومـه " أي يبين النذاره ظاهر الأمر واضحة "(١)

-لقد عهدنا فى المرسلين حرصا على هداية البشر إلــى الطريــق المستقيم بمنهاجهم البين الواضح الذى لا أعوجاج فيه ولا غرو فهدفهم هدايـة البشـر وهم أجدر بهذه الهداية لأنهم أفضل البشر على الإطلاق عليــهم صلـوات الله وسلامة والداعية هنا " نوح " عليه السلام يجهر بالحق ولا يخشى فيه أحـــدا ولا يجامل على حساب الحق أحدا وكذلك ينبغي على الدعاة أن يترســـموا خطاهم فى تبليغ الدعوة .

مظاهر اللين :-

١- يا : حرف النداء هذا ينادى به البعيد ، مع أن نوحا يخاطبـــهم وهـم أمامــه لكنهم بعيدون عن الإيمان منغمسون فى الكفر والعياذ بــالله ولذلــك ناسـبت ان ينادى عليهم بياكى يستدعيهم من مكانهم البعيد .

٢- قوم : ليسوا بالجماد ولا بالحيوان ولا بالطير ولا بالجن بل أنتم بشــر ممـن خلق لكم عقول وقلوب تعقلون بها وآذان تسمعون بها وأعين تبصرون بها .

٣- ثـم قومي : نسبة إليه عليه السلام " أضافــهم إلــى نفســه إظـهارا للشفقة "(٢)

فانتم قومى بالذات . وأنا واحد منكم فلست بالغريب عنكم ولا أنتــم بالغربـاء عنى والمفروض عليكم أن تنصروني وتؤمنوا بى ولا تكفرون .

٤- نذير : ولم يقل بشير ؟ لماذا ؟ لأن الإنذار هــو الإبـلاغ ولا يكــون إلا بالتخويف والاسم النذر ومنه قوله تعالى " فكيف كـان عذابــى نذيـر " أي إنذاري والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير وإنما تكون بالشـر إذا كـانت مقيدة به كقوله تعالى " فبشرهم بعذاب اليم "(٣)

-وعلى ذلك تكون النذارة من مظاهر اللين لأن من خوفك فقد حمــاك بخـلاف من يغشك في النصحية فانه يضحكك وقتئذ ويضحـك النــاس عليـك بعدئـذ

---

(١) تفسير بن كثير ج ٤ ص ٤٥٠

(٢) تفسير النسفى ج ٤ ص ٢٩٤

(٣) مختار الصحاح للرازى ص ٥٣ ، ٥٤ بتصرف

ويضيف أستاذنا فضيلة الدكتور محمود عمارة قائلا " على ان كلمه نذير لا تشعر بالخوف قدر ما توحي بالحنان والعطف فهو ناصح يبصرهم بمسالك الهدى ويقيهم مزالق الردى وهذه خاصية الأمانة التي تلزمهم أن يكونوا معه على الطريق(١)

ه- مبين : فأنا واضح وليس عندي مكر وخداع وغش وتدليس أبين لكم ما أرسلت به إليكم دون نقص أو زيادة بلغة تعرفونها وصدق الله إذ يقول " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم "(٢)

- لقد كان الداعية وفيا في الاستجابة لأمر ربه حين حاول أن يرقق قلوبهم بتذكيرهم بهذه الرابطة يا قوم " ثم بالاختصار على معنى " النذارة " وطى معنى البشارة وكأنما هو النذير المدمدم الذى من شأنه أن يلفت نظر أعين الناس عنادا ثم هو فى إنذاره لا يترك لهم عذرا يتضرون به فى التخلص من الواجبات آلاتية لأنه نذير مبين لا يختلف فيه اثنان مع ملاحظة أن النذير ليس بينا وأنما مبين وإذا فقد غطى كل اقتراح .
- هذه هى طبيعة دعوتنا فلا غموض ولا التواء ولا تشنج ولا عصبية بل هى بيضاء فاقع لونها تسر المؤمنين وكل رسول جاء بدعوته فزعامته إلهية وهو مؤيد من الله عز وجل الذي يدعوا إليه ومضمون رسالته ممثل فى شخصه عبرة للناظرين وسلوكا للمقتدين وهذا هو أدب الدعوة بعكس مذاهب البشر .

الزعامة الأرضية

" رأى بعض الزعماء " وديجول " أنه لكى يظل الحاكم قابضا على زمام الأمر فى وطنه أن يحيط نفسه بها له من الغموض إرباكا للشعب الذى ينظر إليه من خلال هذه الهالة المصطنعة حوله فلا يكاد يعرف متى يرضى الزعيم ومتى يسخط وهذا ضمان لولاء الشعب له حين لا يعرف لحظة رضاه ولا سخطه فيظل منه على حذر دائما وبالتالي يرتبط به وفوق هذا التصور القائم على خطوط النفس

---

(١) نوح عليه السلام ص ٤٣ أ.د / محمود عمارة

(٢) سورة ابراهيم ٤

يعلن الرسول ﷺ أنه جاء على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا ظهر فيــــها ولا بطن لكنها واضحة كالشمس «(١)

قبل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله ومــــا أنا من المشركين » (٢)

التوحيد أساس كل دعوة

دعا نوح عليه السلام قومه فقال كما جاء في القرآن الكريم أن أعبـدوا الله واتقوه وأطيعون «(٣) ودعا كل رسول قومة إلى ذلك كما جاء ذلك واضحا في قولـه عز شأنه وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون «(٤) إن هذا هوالأساس الذي دعا اليه كل رسول مبلغ عن الله عـــز وجـل وجـاءت الرسل تترى ترفع هذا الشعار كى تصل المخلوق بالخالق وكـــى تزكـى نفوسـهم وتظهرهم من ادران الشرك والوثنية ولذلك كان التوحيد هو البداية والنهاية لكـن الناس منهم من يؤمن ومنهم من يكفر فمن آمن استحق الجنة ومن كفر اســتحق عذاب الله وغضبه لكن بم تكون الوقاية من العذاب ؟

أ- بالعبادة ب- بالتقوى ج- بالطاعة

هذه مناهج ثلاثة رسمها القرآن الكريم لنجاة أهله فاليها أيها العابدون .

يقول صاحب الأساس

العبادة والتقوى والطاعة وباجتماعها ينتقل المجتمع من طور إلى طــور وكثـير ممن يشتغلون بالدعوة إلى الله تعالى يفرطون في التربية على هذه المعانى الثلاثـة مجتمعة فينتج عن ذلك قصور فى العبادة أو فى التقوى أو فى الطاعة والملاحـظ أن كثيرين من الدعاة فى عصرنا يهملون قضية الطاعة فتبقى طاعـــة المسـلم للكافرين يستخدمونها حتى فى هدم الإسلام . فالدعوة الكاملة والدعاة الكـاملون هم الذين يربون ويدعون للمعاني الثلاثة مجتمعه ضمن صيغة قرآنيـــة إسـلامية تجعل واجب الطاعة من الأدنى إلى الأعلى فى المجتمع الإسلامي بديهـــة وهـذا

(١) نحو أسلوب امثل للدعوة الإسلامية أ.د / محمود عمارة ص ٣٦ .

(٢) سورة يوسف ١٠٨

(٣) سورة نوح ٣

(٤) سورة الانبياء ٢٥

درس في الإنذار أيضا "(١) ويلاحظ أن نوحا دعا قومة إلى رب هم يعرفوه جيدا ولكنهم يشركون معه آلهة أخرى بدليل قوله تعالى " واستغفروا ربكم " أي انهم يستغفروا ربهم فلم ينكر عليه أحد أنه لا يعرف ربه أو ليس الله ربنا مثلا " والسؤال الذي يخالج نفس الباحث في هذا المقام هو :-

أي شئ كان إذا موضوع النزاع بينهم وبين نبيهم نوح وإننا إذا أرسلنا درس النظر لأجل ذلك في آيات القرآن وتتبعناها تبين لنا انه لم يكن موضوع النزاع بين الجانبين الا أمرين اثنين أولهما أن نوحا عليه السلام كان يقول لقومه إن الله الذي هو رب العالمين والذي تؤمنون بأنه هو الذي قد خلقكم وخلق هذا العالم جميعا وهو الذي يقضى حاجاتكم هو فى الحقيقة إلهكم الواحد الأحد ولا اله إلا هو وليس لأحد من دونه أن يقضى لكم الحاجات ويكشف عنكم الضر ويسمع دعواتكم ويغيثكم ومن ثم يجب عليكم ألا تعبدوا إلا إياه ولا تخضعوا إلا له وحدة " يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " (٢) ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى(٣) وكان قومه بخلاف ذلك مصرين على قولهم بأن الله هو رب العالمين دون رب إلا أن هناك آلهة أخرى لها أيضا بعض التداخل في تدبير نظام هذا العالم وتتعلق بهم حاجاتنا فلا بد ان نؤمن بهم كذلك اله لنا مع الله "وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا "(٤)

وثانيهما : ان القوم لم يكونوا يؤمنون بربوبية الله تعالىجميعا ومالك الأرض والسماوات ومدبر أمر هذا العالم ولم يكونوا يقولون بأنه وحدة هو الحقيق كذلك بأن يكون له الحكم والسلطة القاهرة في أمور الأخلاق والاجتماع والمدينة والسياسة وسائر شئون الحياة الإنسانية وبأنه وحدة أيضا هادى السبيل وواضع الشرع ومالك الأمر والنهى وبأنه وحده يجب كذلك ان يتبع بل كانوا قد اتخذوا رؤساءهم وأحبارهم ، أربابا من دون الله في جميع تلك الشئون وكان يدعوهم نوح بخلاف ذلك إلى إلا يجعلوا الربوبية ينقسمها أرباب متفرقة بل عليهم إن

---

(١) الأساس في التفسير سعيد حوى ص ٦١٥٢

(٢) سورة الأعراف ٥٩

(٣) سورة الأعراف ٦١

(٤) سورة نوح ٢٣

يتخذوا الله وحدة ربا بجميع ما تشمل عليه كلمة الرب ، من المعاني وأن يتبعـوه ويطيعوه فيما يبلغهم من أوامر الله تعالى وشريعته نائبا عنه فكان يقول لـهم[١] « إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون »[٢]

لا عبودية إلا لله عز وجل

- لم تبعث الرسل ولم تنزل الكتب إلا من أجل تمكين هذا الشعار في قلـوب عباد الله عـز وجل وإقامة مقتضاه في ارض الله وتلك هي دعوتنا للناس جميعـا وكما قال القائل أقيموا دعوة الإسلام في قلوبكم تقم على أرضكم .
- فى طبيعة الإنسان ميل خلقى للاعتراف بالواحد الأحد الفرد الصمد وهـذا الاعتراف يقيم مقتضيات لا اله الا الله في ارض الله عز وجل من إقامة الشـعائر التعبدية والشرائع القانونية والقيم الأخلاقية وما إلى ذلك كى يخرجـوا النـاس من عبادة البشر والجر إلى عبادة الله عز وجل . لقد كان نداء الأنبياء جميعـا عليهم صلوات الله وسلامة هو لا عبودية إلا لله وكذلك ينبغى أن يكون الدعاة
- " واتقوه " وإحذروا عصيانه " (٣)
- " ان التقوى هي السبب الذى يصل الناس بربهم وهى خير وشيجة يرتبط بها عباده فيما بينهم إذ هى طهارة القلب من شوائب الضلال وسمـو النفس عن الشرور والقيام بحقوق الله وعباده فإذا كانوا على تقـوى تعمـر قلوبـهم وتجمع شملهم عرفوا ان يحتموا بالله وان ينهضوا إلى دعـوة الله وان يحسـنوا توكلهم على الله وفى حثهم على التقوى تطمين لهم[٤]
- إن كلمة التقوى كلمة جامعة تجمع كل معانى الخير فسيدنا نـوح يقـول لهم اتقوا الله أي تجنبوا سخطه وغضبه وتحببـوا أليـه سـبحانه وتعـالى والتزموا ما أمركم به كى تكونوا فى رحابـة ورضوانــه ولا تتعرضـوا لسـخه وعذابه " وأطيعون " فيما أمركم به أنهاكم عنه وإنها أضافـه الـى نفسـه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة "[٥]

---

(١) المصطلحات الاربعة فى القرآن ابو الاعلى المودودى ص ٤٤ ، ٤٥ دار القلم

(٢) سورة الشعراء ١٠٧

(٣) تفسير النسفى ج ٤ ص ٢٩٤

(٤) من نفحات القران عبد اللطيف السبكى ص ٣٨

(٥) تفسير النسفى ج ٤ ص ٢٩٤

الرسل قدوة صالحة للبشر جميعا وهم سفراء الله الى خلقه ليبلغوهم رسالاته سبحانه وتعالى وهم متصفون بالصدق والفطانة والأمانة ولقد نزههم الله عز وجل عن المعاصي وحفظهم منها . وعصمهم من كل مكروه وسوء فلم لا تطبعهم لتسعد فى الدنيا والآخرة "وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بأذن الله"(١) أي فرضت طاعته على من أرسل اليهم " (٢) إنها دعوة من الله عز وجل وتكليف للمؤمنين ان يطيعوا رسوله نوح على وجه العموم فهم يطيعوه فى كل ما جاءهم به من عند الله عز وجل في شأن الدين والدنيا وهو حريص عليهم يبلغهم ما أرسل به اليهم ولا يكتم شيئا لان من خصائص الرسالة الأمانة فى العلم وهى أيضا صفة المؤمنين الصادقين بل أن الأمانة طابع النبوة . ولا يعقل أن يخون بنى او يكتم شيئا فمقام الرسالة رفيع الشان عظيم القدر .

الدليل على وجوب التبليغ

- " أن الرسل عليهم صلوات الله وسلامه لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه الى الناس لكنا مأمورين نحن بكتمان العلم لان الله عز وجل امرنا بالإقتداء بهم واللازم باطل وهو كتمان العلم لان كاتم العلم ملعون من الله ومن الملائكة والناس أجمعين "(٣)
- وصدق الله إذ يقول " ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون(٤) ويقول عز شأنه " إن الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم "(٥)

من ثمرات الطاعة

يقول الله تعالى :- " قال يا قوم أنى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم ذنوبكم ويؤخركم إلى اجل مسمى أن اجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون "(٦)

---

(١) سورة النساء ٦٤

(٢) تفسير بن كثير ج ١ ص ٥١٩

(٣) شرح البيجورى على جوهرة التوجية ص ١٠٧

(٤) سورة البقرة ١٥٩

(٥) سورة البقرة ١٧٤

(٦) سورة نوح

• ها هو رسول الله نوح عليه السلام يعـرف قومـه مزايـا الايمـان بـالله عز وجل فتوحيد الله عز وجـل هـو خـير اسباب النجـاة وهـو بذلـك يؤهلهم لرضوان الله عز وجل لأن العبودية شـرف للإنسـان فـهى محـل عطاء الله ورضوانه والله عـز وجـل لا يريـد منـهم شـيئا سـوى أن يوحدوه ويعبدوه ووعدهم على ذلك المغفـرة وانظـر لضـرورة التلميـح بالمنفعة الدينية والدنويـة .

• قلنا سابقا إنها ليست نذاره سيدنا نوح لقومـه النـذاره الغشـوم وإنـها هي القسوة الحازمة وآية ذلك عدتهم بمغفـرة الذنـوب وإطالـة العمـر . ثم لاحظ ما ينطوى عليه عليـه السـياق مـن تحذيـر " إن أجـل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمـون[1]

حضور العقـل

• للعقل فى هذه الدعوة حضور فعلى الرغم انـه قـد يشـتم مـن أفـراد النذاره بالذكر إسـتبعاد العقـل ليكـون الكـلام لعنصـر الخـوف ألا ان للقلب حضورا لا ينبغى ان يتجـاهل يفـهم ذلـك مـن انـه بعـد الامـر بالعبادة والتقوى والطاعة جاء بالمسـوغ العقلـى .

" يغفر لكم من ذنوبكم ويخؤكم الى اجل مسـمى " [2]وفـى هـذا الصـدد يقـول الشيخ المرحوم العـدوى :

أ- إذا هم أطاعوه أن يغفر الله لهم ما فـرط مـن الذنـوب .

ب- ويؤخرهم فى تمكن من الطاعة متنعمين بما سخر اللـهم لـهم مـن خيرات هذه الحياة إلى الوقت المضـروب لموتـهم "[3]

- وهو كقوله تعالى فى سورة هود : وان اسـتغفروا ربكـم ثـم توبـوا إليه يمنعكم متاعا حسنا إلى اجل مسمى ويـؤت كـل ذى فضـل فضلـه وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يـوم كبـير[4]

- لقد أراهم أن أجل الله الذى حـدده لـهلاك الأمـم وعقوبتـها إذا جـاء لا يمكن تاخيرة " ولكل امه اجل فإذا جـاء أجلـهم لا يسـتاخرون سـاعة ولا يسـتقدمون "[5]

---

(١) سورة نوح الآيات

(٢) سورة نوح

(٣) دعوة الرسل للعدوى ص ١٦

(٤) سورة هود ٣

(٥) سورة الأعراف ٣٤